ومن ذلك : « فقه الاختلاف » فقد خلق الله الناس مختلفين ، حين منحهم العقل والإرادة ، وابتلاهم بالتكليف : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ، وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ، وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ (١) ، قال المفسرون : أى وللاختلاف خلقهم ، فلابد أن نتعلم كيف تختلف آراؤنا ، ولا تختلف قلوبنا ، وقد تحدثت عن هذا الموضوع فى كتابى « الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم » .

ومن أجل هذا يؤمن هذا التيار بالحوار مع الآخر ، ممن يخالفه فى الدين ، أو فى الفكر أو فى السياسة ، ولهذا دعونا إلى الحوار مع العلمانيين ، ومع القوميين ، ومع العقلاء من الحكام ، ومع الغربيين ، على المستوى الدينى والفكرى والسياسى .

وهو ما أمر به القرآن حين قال : ﴿ وَجَادِلْهُم بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ (٢) .

* * *

● الوسطية المتوازنة :

ومن معالم الفكر الذى ينشده هذا الفصيل : أنه فكر وسطى الوجهة والنزعة ، فهو فكر تتجلى فيه النظرة الوسطية المعتدلة المتكاملة للناس والحياة ، النظرة التى تمثل المنهج الوسط للأمة الوسط ، بعيداً عن الغلو والتقصير ، وقد وضحت هذه الفكرة فى

---

(١) هود : ١١٨ ، ١١٩ (٢) النحل : ١٢٥

عدة كتب لى ، ولا سيما « الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربى والإسلامى » ، و« أولويات الحركة الإسلامية » .

* * *

● **موقف الفكر الوسطى من قضايا كبيرة :**

تتميز وسطية هذا الفكر فى موقفه المعتدل المتوازن من قضايا كبيرة مهمة :

فهو وسط بين دعاة المذهبية الضيقة .. ودعاة اللامذهبية المنفرطة .

وسط بين أتباع التصوف وإن انحرف وابتدع .. وأعداء التصوف ، وإن التزم واتبع .

وسط بين المحكمين للعقل وإن خالف النص القاطع .. والمغيبين للعقل ولو فى فهم النص .

وسط بين الذين ينكرون الإلهام مطلقًا ، فلا يعترفون بوجوده ولا بأثره .. والذين يبالغون فى الاعتداد به ، حتى جعلوه مصدرًا للأحكام الشرعية .

وسط بين دعاة التشدد ولو فى الفروع والجزئيات .. ودعاة التساهل ولو فى الأصول والكليات .

وسط بين المقدسين للتراث وإن بدا فيه قصور البشر .. والملغين للتراث وإن تجلت فيه روائع الهداية .

وسط بين فلسفة المثاليين الذين لا يكادون يهتمون بالواقع .. وفلسفة الواقعيين الذين لا يؤمنون بالمثل العليا .

وسط بين دعاة الفلسفة « الليبرالية » التى تعطى الفرد وتضخمه على حساب المجتمع .. ودعاة الفلسفة الجماعية « الماركسية » التى تعطى المجتمع وتضخمه على حساب الفرد .

وسط بين دعاة الثبات ولو فى الوسائل والآلات .. ودعاة التطور ولو فى المبادئ والغايات .

وسط بين دعاة التجديد والاجتهاد وإن كان فى أصول الدين وقطعياته .. ودعاة التقليد وخصوم الاجتهاد وإن كان فى قضايا العصر التى لم تخطر ببال السابقين .

وسط بين الذين يهملون النصوص الثابتة بدعوى مراعاة مقاصد الشريعة .. والذين يغفلون المقاصد الكلية باسم مراعاة النصوص .

وسط بين دعاة الانفتاح على العالم بلا ضوابط .. ودعاة الانغلاق على النفس بلا مبرر .

وسط بين دعاة الغلو فى التكفير حتى كفروا كافة المسلمين المتدينين .. والمتساهلين فيه ولو مع صرحاء المرتدين .

وسط بين المستغرقين فى الحاضر غائبين عن المستقبل .. والمبالغين فى التنبؤ بالمستقبل كأنه كتاب يقرؤونه .

وسط بين المقدسين للأشكال التنظيمية كأنها أوثان تعبد . والمتحللين من أى عمل منظم كأنهم حبات عقد منفرط .

وسط بين الغلاة فى طاعة الفرد للشيخ والقائد كأنه الميت بين يدى الغاسل . . والمسرفين فى تحرره كأنه ليس عضواً فى جماعة .

وسط بين الدعاة إلى العالمية دون رعاية للظروف والملابسات المحلية . . والدعاة إلى الإقليمية الضيقة دون أدنى ارتباط بالحركة العالمية .

وسط بين المسرفين فى التفاؤل متجاهلين العوائق والمخاطر . . والمسرفين فى التشاؤم فلا يرون إلا الظلام ولا يرقبون للظلام فجراً .

وسط بين المغالين فى التحريم كأنه لا يوجد فى الدنيا شىء حلال . . والمبالغين فى التحليل كأنه لا يوجد فى الدين شىء حرام .

هذه هى بعض معالم الوسطية التى يتبناها هذا الفصيل ، وإن كان الغالب على مجتمعاتنا اليوم السقوط بين طرفى الإفراط والتفريط ، إلا من رحم ربك ، وقليل ما هم .

* * *

مصير الأصولية ومستقبلها

والآن نأتى إلى السؤال الأساسى فى هذا البحث ، وهو : ما مصير الأصولية ومستقبلها ؟ ويمكن أن نغير الصيغة ونقول : ما مصير الصحوة الإسلامية ؟

ربما لو سئل هذا السؤال منذ سنوات - فى الثمانينات - لكان الجواب مفعمًا بالأمل ، مبشرًا بمستقبل زاهر ، وغد مرجو ، فقد كانت الصحوة ملء الأسماع والأبصار ، على كل الساحات الثقافية والتربوية والسلوكية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والجهادية .

وقد لحق بركب الصحوة كثيرون كانوا مناوئين لها من قبل ، ممن كانوا فى ركب اليسار الماركسى ، أو اليمين الليبرالى .

أما اليوم فقد تغير الوضع إلى حد كبير ، حتى قد يرى بعض المتشائمين أن المصير قاتم أو أسود ! وأن المحرقة تعد لدعاة الإسلام فى أكثر من بلد ، وقد ظهرت بواكيرها ، وأن أعداء الصحوة - وإن شئنا قلنا : الأصولية - قد استطاعوا أن يكيدوا لها كيدًا ، وأن يوقعوا بينها وبين السلطات المحلية ، فقام بين الطرفين صراع دام ، ينتهى فى الغالب بانتصار السلطة .

وقد استغل هؤلاء الخصوم الأذكياء الدارسون : الثغرات أو نقاط الضعف فى صف الصحوة ، فدخلوا منها ، ودفعوها إلى خوض

معارك لا لزوم لها ولا فائدة منها ، إلا إهدار الطاقات البشرية ، والمادية ، والمعنوية ، للجماعة والأمة ، والخاسر هنا هو الإسلام ، والرابح المستفيد هم الأعداء .

وليس هذا من باب « التفسير التآمرى » للأحداث ، بل هو ما تنطق به الوقائع والدلائل الكثيرة المتوافرة .

وهذا لا يعفى رجال الصحوة من المسؤولية ، فمن ذا الذى لا يحمِّل رجال الفصائل الجهادية الأفغانية مسؤولية ما حدث ويحدث فى أفغانستان منذ سنوات من تقتيل وتدمير وتشريد ؟

وإن كنا لا نستطيع أن نقول مثل ذلك فيما يجرى فى الجزائر ؛ لأن الإسلاميين هم المعتدى عليهم ، وهم الذين حرموا من حقهم الذى أعطتهم إياه صناديق الاقتراع ، فقطع الطريق عليهم بالقوة الباطشة ، وألجئوا إلجاء إلى العنف دفاعًا عن حقهم ، وقد استشرى العنف وتفاقم ، حتى انتهى إلى مدى لم يعد مقبولاً بحال ، لا شرعًا ولا وضعًا ، وقد اختلط الحابل بالنابل ، فلم يعرف بالضبط من المسؤول عما يحدث من مجازر يقع ضحيتها العشرات والمئات من الأبرياء ! ولا مخرج من هذا العنف والصراع الدموى ، إلا بالعودة إلى جو الحرية والانفتاح ، والحوار الإيجابى مع كل الفئات ، وعلى رأسها جبهة الإنقاذ ، وإلا بقى مسلسل الدماء مستمرًا .

وحتى الصحوة التى تحولت إلى دولة ، كما فى السودان وإيران ،

تبيت لها المكايد الجهنمية ، التى غدت شبه معلنة ، فالسودان يهيأ له تخطيط قد كشف القناع عن جزء منه ، والبقية تأتى .

ومثل ذلك يقال عن إيران ، فالوعيد موجه إلى كل منهما . والهدف المنشود ، وربما الخطة الموضوعة ، هى إشعال حرب دينية بين السُّنَّة والشيعة ، ترمى القوى المتربصة لها بالوقود ، حتى تأكل الأخضر واليابس ، ولا يربح من ورائها إلا أعداء الأمة كلها .

وقد ضرب التيار الإسلامى فى بعض الأقطار ضربات وحشية قصمت ظهره ، وشتتت شمله ، والعالم يتفرج على ما يجرى وهو صامت أو شامت ! وربما احتجت بعض هيئات حقوق الإنسان على بعض ما يجرى فى السجون من تعذيب وتضييق ، هذا مع أن البلد كله سجن كبير للإسلاميين ، الذين ليس لهم حق العمل ولا الكلام ، ولا مجرد الدفاع عن النفس فى بيان أو خطبة أو مقال .

وإسرائيل تلعب دورًا خطيرًا فى تأجيج المعركة ضد « الأصوليين الإسلاميين » ، الذين لم يسمح لهم فى أكثر من قطر بتكوين حزب رسمى ، ينطق باسمهم ، ويجمع الناس حول فكرتهم ، بدعوى أنه لا يجوز إنشاء حزب على أساس دينى ، فى حين أجازوا إنشاء أحزاب على أسس لا دينية ، فتأمل وتعجب ! كيف يكون تدين الإنسان سببًا فى حرمانه من حقوقه السياسية ، فى حين لا يحرم منه الملحد والمنحل !

ورغم هذه المحن المتتابعة التى يمر بها التيار الإسلامى الأصولى -

كما يسمى - فأنا لست متشائمًا ، ولا يائسًا من المستقبل ، وأرى أن هذا التيار هو القادر - وحده - على تفجير طاقات الأمة ، ودفعها إلى النهوض والارتقاء بقوة أكبر وأسرع من القوة العادية بأضعاف ، وهو وحده الذى يحمل للأمة مشروعًا متميزًا ، ورسالة حضارية خاصة بها ، تستطيع أن تعمل وتبذل من أجلها ، وتجاهد فى سبيلها .

وفى دراسة لى عن « المبشرات بانتصار الإسلام » ذكرت مبشرات خمسة أساسية : من القرآن ، ومن السُّنَّة ، ومن التاريخ ، ومن الواقع ، ومن السنن الإلهية ، وكلها تبشر بأن المستقبل لهذا الدين ﴿ هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (١) .

وأذكر هنا أن القوى المعادية للصحوة الإسلامية فى الخارج ، وعملاءها فى الداخل ، يمكن أن ينتصروا فى المعركة الحالية بينهم وبين الصحوة ، ولكنه لن يكون نصرًا حاسمًا ولا نهائيًا ، لأنه ضد طبائع الأشياء ، وحقائق التاريخ والواقع ، إنه نصر مؤقت ، سرعان ما يستعيد الإسلام قوته بعد حين قد لا يطول ، وتجتمع الجماهير عليه ، وتظهر صحوة أخرى من جديد .

وهذا ما جربناه ، فقد ضربت حركة الإخوان المسلمين فى مصر فى عهد الملكية ، وقتل مرشدها ومؤسسها بيد الحكومة ، ثم عادت فانتعشت ، وأمست أقوى مما كانت كمًا وكيفًا وتأثيرًا فى الحياة .

---

(١) التوبة : ٣٣ ، والصف : ٩

ثم ضربت فى عهد الثورة جملة ضربات هائلة ، قيل بعدها : إن بساطها قد طوى ، وإن جذوتها تحولت إلى رماد ، ثم ما لبث « جيل الثورة » أن أصبح بعد أمد قليل هو « جيل الصحوة » .

* * *

● المعادون للأصولية فى الداخل :

هناك كثير من القوى الخارجية تعادى الأصولية الإسلامية ، لدوافع غير خافية ، جلّها : الحقد والخوف والطمع ! ولكنى لا أركز إلا على القوى الداخلية .

هناك من المسلمين ، أو ممن ينتسبون إلى الإسلام : من يعارضون الأصولية بكل مدارسها وتوجهاتها ، المتشددة والمعتدلة ، بل يناصبونها العداء .

هناك - على المستوى السياسى - أنظمة حاكمة تعارض التيار الأصولى ، بل تتخذه عدوًا لها ، وتحاربه بلا هوادة ، بعضهم لأنه يخاف منه على سلطانه ودنياه ومكاسبه ، وبعضهم لأنه يجهل حقائق الإسلام ، ومن جهل شيئًا عاداه ، وبعضهم لأنه لا يحمل ولاء للإسلام ، بل يوالى أعداءه ، وهم يعادون هذا التيار ، فهو تبع لهم .

وهناك - على المستوى الاجتماعى - فئات تتمتع باحتكارات وامتيازات تعتقد أن الإسلام لن يرضى عنها ، وتخشى أن يحرمها منها ، ومن هؤلاء مترفون غرقوا فى المتع والشهوات ، حرامًا كانت

أم حلالاً ، فهم يعادون الإسلام لاعتقادهم أنه لو انتصر لضيق عليهم فيما هم فيه .

وهناك - على المستوى الفكرى - من يعادى الأصولية ، لأنهم يحملون أفكارًا مناوئة للإسلام ، فى عقائده وتصوراته ، أو فى شرائعه وأحكامه ، أو فى قيمه ومثله .

ومعظم هؤلاء من « المتغربين » الذين لم يعرفوا حقائق الإسلام ، ولم يتصلوا بمنابع الثقافة الإسلامية الأصيلة ، ولم يتواضعوا ليطلبوا العلم من مصادره ، ويسألوا أهل الذكر فيما لا يعلمون ، وقد ساء ظنهم بماضى المسلمين ، كما ساء ظنهم بحاضرهم ، وساعدهم على ذلك : موقف الكثيرين ممن ينتسبون إلى الأصولية أو ينسبون إليها ، من سوء تصور للإسلام ، وسوء سلوك باسمه ، ومن ساء تصوره وفهمه فهيهات أن يحسن سلوكه ، وقد قال العرب : إنك لا تجنى من الشوك العنب !

وكثير من هؤلاء مقلدون « لشيوخهم » فى الغرب ، بوعى أو بغير وعى ، وشيوخهم هؤلاء يخوفون من الإسلام - وخصوصًا « الإسلام الأصولى » - ويعدونه العدو البديل بعد سقوط الشيوعية ، وانهيار الاتحاد السوفيتى ، ويسمونه « الخطر الأخضر » بعد زوال « الخطر الأحمر » ، والتقارب مع « الخطر الأصفر » الخطر الصينى .

وأخطر هؤلاء : فئة من المتغربين المتعالمين والمتعالين لا تؤمن بقداسة لمصادر الإسلام ، ولا بإلهية القرآن ، وأنه تنزيل من حكيم

حميد ، وإنما تؤمن بتاريخيته ، وأنه تكون من الواقع ، وتأثر بالواقع ، وبثقافة الواقع الجاهلى ، فالواقع فاعل مؤثر ، والنص القرآنى أو النبوى منفعل متأثر ، وليس للقرآن - عند هؤلاء - وجود سابق مفارق ، على خلاف ما نطق به القرآن : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِى كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴾ (١) ، ﴿ وَإِنَّهُ فِى أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾ (٢) .

ومن هؤلاء من يقول : إن هناك صورة تاريخية للإسلام : قرآنه وسُنَّته وتراثه غير الصورة السائدة والمعروفة عند أمة الإسلام ، طوال أربعة عشر قرنًا ، وغدت معلومة من الدين بالضرورة كما يقول العلماء : هذه الصورة المتوارثة صورة تبجيلية أو أسطورية ، صنعها الخيال أو الوهم أو التزيد ، أما الصورة التاريخية - التى يعرفها هؤلاء العباقرة وحدهم ! - فهى الصورة الحقيقية للإسلام وتراثه ورسالته ، ولا يمكن التخلص من الصورة الزائفة وإحلال الصورة التاريخية والحقيقية محلها إلا بمواجهة صريحة مع أنفسنا ومع أعمق أعماقنا ، وهذا ليس بالسهل ، فقد يحتاج قرنًا أو قرنين كما حدث فى أوروبا مع الدين التقليدى هناك ، هكذا قالوا .

هؤلاء كونوا لهم إسلامًا خاصًا بهم غير إسلام الأمة ، إسلامًا كونوا صورته من خارج الثقافة الإسلامية ، وحكموا على الأمة كلها خلال تاريخها الطويل - بما فيها من فقهاء ومتكلمين ومفسرين

---

(١) الواقعة : ٧٧ ، ٧٨ (٢) الزخرف : ٤

ومحدثين ومتصوفة وغيرهم - بالجهل والضلال ، فهم ضد الماضى ، وضد الحاضر ، وأولى بهم أن يتحلوا بالشجاعة ، ويعلنوا انفصالهم عن الإسلام ، لأنهم فى حقيقة أمرهم لا يؤمنون به .

لو أنهم فرقوا فى التراث بين الثابت والمتغير ، والملزم وغير الملزم ، والإلهى والبشرى ، لسلمنا لهم ، وقلنا : إن عمل العقل البشرى - أيا كانت منزلته - قابل للنقد والتصحيح والتكميل ، ولكنهم أدخلوا الوحى الإلهى حتى القرآن ذاته فى جملة التراث ، وأنا أقول لهؤلاء : إن القرآن فوق التراث ، والإسلام ليس ماضيًا ، إنه الماضى والحاضر والمستقبل ، فهو رسالة الله العامة الخالدة الخاتمة .

مشكلة هؤلاء أنهم يطبقون على الإسلام فى الشرق ما طبق على المسيحية فى الغرب ، مع أن الإسلام ليس هو المسيحية ، وشخصية محمد ﷺ عند المسلمين ليست كشخصية المسيح عند المسيحيين ، وعلماء الإسلام ليسوا كرجال الكهنوت ، والتاريخ الدينى للمسلمين ليس كالتاريخ الكهنوتى للمسيحيين ، ولكنهم - وهم الرجال المتعلمون جدًا المثقفون جدًا ! - يتجاهلون ذلك كله ، ويأبون إلا أن يقيسوا الشرق الإسلامى على الغرب المسيحى ، وهو قياس مع الفارق ، بل الفوارق بلا ريب .

* * *

● عوامل أساسية للنجاح :

على أن مصير الأصولية الإسلامية ومستقبلها مرتبط بجملة أمور أساسية :

١ - بمدى ارتباطها بأصول الإسلام فهمًا وإيمانًا وسلوكًا .

٢ - ثم بمدى قدرتها على الوفاء بحاجات مجتمعها ، ومطالب عصرها ، وخصوصًا فى حل القضايا الشائكة مثل : المرأة والأقليات والفنون والحريات والتعددية والديمقراطية ونحوها .

٣ - ثم بمدى تأثيرها فى المسلمين نخبًا وجماهير ، ومدى التفاف المسلمين حولها ، واقتناعهم بها : إخلاصًا وكفاية .

٤ - ثم بمدى تجاوبها مع الآخرين من حولها ، وتجاوب الآخرين معها .

* * *

● الارتباط بأصول الإسلام :

١ - لا يتصور أن تنجح الأصولية - أو الصحوة - وتنهض بالأمة إذا لم ترتبط بأصول الإسلام : فهمًا وإيمانًا وسلوكًا ، ارتباطًا واضحًا ، حتى تكتسب الشرعية ، وتستحق تأييد الأمة .

ولا يتم لها ذلك إذا لم تستند إلى محكمات القرآن والسُّنَّة ، وما علم من الدين بالضرورة ، وأجمعت عليه أجيال الأمة بيقين .

أما أن تدعى الأمة إلى إسلام « محرف » ينادى به زيد أو عمرو

من الناس ، من صنع عقله أو من صنع هواه ، استقاه من غير مصادر الإسلام : من دين آخر ، أو فلسفة أخرى ، أو لأنه يوافق قول الخواجة الفلانى ، أو يلائم « مودة » البيئة الفلانية ، أو طابع العصر ، أو اتجاهات النظام العالمى الجديد ، أو نحو ذلك ، فهذا ليس هو الإسلام الذى تعرفه الأمة .

لقد رأينا من ينادى بإسلام على مزاجه ، يبقى من تعاليمه وأحكامه ما يروق له ، أو يروق لمدرسته ، ويحذف منه ما لا يروق ولا يعجب ، فهو يريده عقائد بلا أحكام ، وعبادات بلا معاملات ، وسلامًا بلا جهاد ، وزواجًا بلا طلاق ، ودينًا بلا دولة ، وأخلاقاً بلا نظام .

يريدونه دينًا لا سياسة فيه ولا اقتصاد ولا اجتماع ولا ثقافة ولا تشريع ، فماذا بقى إذن من الإسلام ؟ التعبد فى المسجد ؟ حتى هذا تدخلوا فيه ، فلم يعد المسجد حرًا يؤدى رسالته فى توعية الأمة وتفقيهها فى دين الله ، بل يجب أن يكون المسجد خاضعًا للسلطة ، يروج لسياستها ، ولا يجرؤ على نصيحتها ، لأن نصيحتها « دخول فى السياسة » الملعونة ، وتنفيق لما سموه « الإسلام السياسى » .

إن الإسلام الذى يتلون بلون السلطة ، يفقد تأثيره على الأمة ، فإذا كانت اشتراكية غدا الإسلام اشتراكيًا ، وإذا كانت السلطة رأسمالية ، أصبح الإسلام رأسماليًا ، وإذا والت السلطة الروس ،

كان الإسلام روسيًا ، وإذا دانت للأمريكان تحول الإسلام أمريكيًا !! هذا الإسلام لا تقتنع به الأمة ، ولا تستجيب لدعائه .

* * *

● **القدرة على الوفاء بحاجات المجتمع :**

٢ - وأمر آخر لابد أن يتوافر فى الأصولية - أو الصحوة - المنشودة ، وهو : قدرتها على الوفاء بحاجات المجتمع المعاصر ومطالبه المتعددة ، المادية والأدبية ، وقد تشابكت وتعقدت ، ولا يقوم بها دراويش يمسكون بالمسابح فى أيديهم ، ولا مهاويس بصغار الأمور فى غفلة من كبارها ، ولا بأناس محبوسين فى سجن الماضى ، جاهلين بتطورات الحاضر ، وتطلعات المستقبل ، ولا بمن كل معرفتهم بالإسلام : ألفاظ يحفظونها ، وأقوال يرددونها لعلماء كبار سابقين ، ربما كانوا من علماء الأمة ، لا يخرجون عنها ، ولا يفقهون غيرها .

مثل هؤلاء يهبطون بالأصولية - أو بالصحوة - إلى أسفل ، ولا ترقى بهم إلى أعلى .

لابد للتيار الأصولى - أو لتيار الصحوة - إذا أراد أن يكون له دور ملموس فى التغيير ، أن يضع النقاط على الحروف ، فى قضايا معقدة وشائكة فى حياة الناس ، يسأل الناس عنها صباح مساء ، ولا سيما من غير المسلمين ، وغير الملتزمين ، من التيارات المختلفة ، المتشككة والمشككة فى قدرة الإسلام على حلها .

وذلك مثل ما أشرنا إليه من قضايا : المرأة فى الأسرة والمجتمع ، والأقليات الدينية وموقف الإسلام منها ، وما حقوقها وما واجباتها ؟ هل ستفرض عليهم الجزية ؟ ويلزمون بثياب تميزهم عن المسلمين ؟ ، كما تقول بعض الكتب الصفراء .

وما الموقف من الفنون التى أمسى لها دورها الخطير فى المجتمع ، مسموعة ومرئية وخصوصًا بعد أن تنوعت وتطورت ، هل الموقف هو التحريم والتضييق ؟ أو المرونة والتوسيع ؟

وما الموقف من الحرية والديمقراطية ، هل صحيح أن الأصوليين إذا وصلوا إلى الحكم احتكروه لأنفسهم ومنعوا الآخرين منه ، مع أنهم لم يصلوا إليه إلا من خلال الديمقراطية ؟ ، هل الديمقراطية حلال لتصل بهم إلى كراسى الحكم ، فإذا وصلوا أصبحت حرامًا ومنكرًا ؟؟

إلى غير ذلك من القضايا التى تتطلب جوابًا حاسمًا يقوم على اجتهاد شرعى صحيح من علماء ثقات ، قادرين على أن ينفذوا إلى جوهر الشرع ومقاصده ، دون أن يغفلوا نصوصه .

إن الأصولية التى تعطل العقل باسم النص ، لا يمكن أن يكون لها مكان فى عصرنا ، ولا يوجد فى الإسلام - بحمد الله - تعارض بين صحيح المنقول ، وصريح المعقول ، ولا بين العلم والدين .

* * *

● مدى تأثير الأصولية فى المسلمين :

٣ - ولا يمكن أن تثبت الأصولية - أو الصحوة - وجودها ، إذا لم تثبت تأثيرها فى عقول الأمة ووجدانها ، بحيث ترى الأمة أن خلاصها يكمن فيها ، وأن أهدافها فى التقدم والنمو لا تتحقق إلا فى رحابها ومن خلالها .

ولا سيما بعد أن استعمرت الأمة ثقافيًا ، وغزيت فكريًا ، عقودًا غير قليلة من الزمن ، تركت آثارها فى العقول والأنفس والضمائر ، فتغيرت مفاهيمها ، وتغبشت رؤيتها ، وساءت أخلاقها ، واضطربت أوضاعها ، فلا بد أن تعمل الأصولية - أو الصحوة - عملها فى تغيير ما بالأنفس حتى يغير الله ما بها ، وفق سُنَّته الثابتة ﴿ إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (١) .

ولا يكفى أن تؤثر الأصولية - أو الصحوة - فى الجماهير وحدها وتدع الصفوة أو النخبة للعلمانية والفلسفات الوضعية تأسر عقولهم ، وتملك مشاعرهم ، كما لا يكفى أن تؤثر فى النخبة وتدع الجماهير للخرافيين وتجار المزايدة فى الدين ، يلعبون بعقولهم وعواطفهم .

ولا بد للجميع أن يقتنعوا بإخلاص هؤلاء الأصوليين وأمانتهم وطهارتهم من الناحية الأخلاقية ، ثم بقدراتهم وكفايتهم من الناحية السياسية والاقتصادية والإدارية ، كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ ﴾ (٢) ، و« القوة » تعنى : الجانب الفنى ،

---

(١) الرعد : ١١ (٢) القصص : ٢٦

من الكفاية والخبرة والقدرة على العمل ، و« الأمانة » تعنى : الجانب الأخلاقى من يقظة الضمير وخشية الله تعالى ، ولا ترقى الحياة ، ولا تنهض المجتمعات إلا بالعقول القوية ، والضمائر الحية .

* * *

● مدى التجاوب مع الآخرين وتجاوب الآخرين معها :

٤ - ويلزم التيار الأصولى - أو تيار الصحوة - أن يعلم أنه لا يعيش فى جزيرة منعزلة ، بل يعيش فى عالم تقارب وتقارب حتى غدا وكأنه بلد واحد ، وقد صوره بعض الأدباء بأنه « قرية كبرى » .

وأنا أقول : إنه صار اليوم - نتيجة ثورة الاتصالات الهائلة - قرية صغرى ، فالقرية الكبرى قد لا يعلم من فى شرقها ما حدث فى غربها إلا بعد ساعات ، ونحن نعلم ما يحدث فى أى بقعة من العالم بعد دقائق من وقوعه .

الانفتاح على العالم ضرورة لا نعرفها ، والعالم فيه مسلمون وغير مسلمين ، والمسلمون منهم موافقون ، ومنهم مخالفون ، والموافقون منهم الواثقون بالأصوليين أو ببعضهم على الأقل ، ومنهم المتشككون فى استطاعتهم القيام بالمهمة على الوجه المرضى .

وهذه الأمور كلها تقتضى من الأصوليين المعنيين : ألا يعزلوا أنفسهم عمن حولهم ، وأن يوثقوا الصلة بالجميع ، وأن يزيلوا شكوك المرتابين ، ويردوا على التساؤلات ، ويدفعوا الشبهات ، ويدرؤوا المخاوف التى تنتاب الكثيرين من الإسلام ، ويتقاربوا مع

من يرضى التقارب معهم ، ويتحالفوا مع آخرين ، وأن تسود روح التسامح بينهم وبين الناس أجمعين ، ويرفعوا راية الحوار مع كل المخالفين فى الداخل والخارج ، وهو حوار بالتى هى أحسن ، كما أمر الله تعالى .

* * *

● **الصورة التى نقدم بها الإسلام للناس** :

وأهم من ذلك كله : الصورة التى نقدم بها الإسلام للناس . فهناك صورة جاذبة ، وصورة طاردة ، صورة مبشرة ، وصورة منفرة ، وإنما نكسب من حولنا بالصورة المبشرة .

هناك أناس يقدمون الإسلام فى صورة تقشعر من هولها الجلود ، وترتعد من قساوتها الفرائص ، وتوجل من ذكرها القلوب .

إنه الإسلام الذى يدعو إلى « اللفظية » فى العقيدة ، و« الشكلية » فى العبادة ، و« السلبية » فى السلوك ، و« السطحية » فى التفكير ، و« الحرفية » فى التفسير ، و« الظاهرية » فى الفقه ، و« المظهرية » فى الحياة .

إنه الإسلام المقطب الوجه ، العبوس القمطرير ، الذى لا يعرف غير العنف فى الدعوة ، والخشونة فى المجادلة ، والغلظة فى التعامل ، والفظاظة فى الأسلوب .

إنه الإسلام الجامد كالصخر ، الذى لا يعرف تعدد الآراء ، ولا

يعترف بتنوع الاجتهادات ، ولا يقر إلا بالرأى الواحد ، والوجه الواحد ، ولا يسمع للرأى الآخر ، ولا للوجهة الأخرى ، ولا يرى أحدهم أن رأيه صواب يحتمل الخطأ ، وأن رأى غيره خطأ يحتمل الصواب ، بل رأيه هو الصواب الذى لا يحتمل الخطأ ، ورأى الآخرين هو الخطأ المحض الذى لا يحتمل الصواب بوجه .

إنه الإسلام الذى لا يعرف التسامح مع المخالفين فى الدين ، ولا يقبل الحوار مع المغايرين فى الفكر ، ولا يأذن بوجود للمعارضين فى السياسة .

إنه الإسلام الذى لا ينظر بريبة إلى المرأة ، فهو يدعو إلى حبسها فى البيت ، وحرمانها من العمل ، ومن المشاركة فى الدعوة والحياة الاجتماعية والسياسية .

إنه الإسلام الذى لا يعنيه العدالة فى توزيع الثروة ، ولا توكيد قاعدة الشورى فى الحكم ، ولا إقرار الحرية للشعب ، ولا مساءلة اللصوص الكبار عما سرقوه وما اقترفوه ، ولا تحذير الناس من الوقوع فى براثن التبعية للقوى الأجنبية ، أو الاستسلام للقوة الصهيونية التوسعية العدوانية ، لكن يشغل الناس بالجدال فى مماحكات جدلية ، وفرعيات فقهية ، وجزئيات خلافية ، فى العبادات أو المعاملات ، لا يمكن أن ينتهى فيها الخلاف .

إنه الإسلام الذى يتوسع فى منطقة التحريم ، حتى يكاد يجعل

الحياة مجموعة من المحرمات ، فأقرب كلمة إلى ألسنة دعاته ، وأقلام كتابه : كلمة « حرام » .

إن الإسلام المنشود ، هو الإسلام الأول ، إسلام القرآن والسُّنَّة ، سُنَّة النبى ﷺ ، وسُنَّة الراشدين المهديين من بعده ، . . إسلام التيسير لا التعسير ، والتبشير لا التنفير ، والرفق لا العنف ، والتعارف لا التناكر ، والتسامح لا التعصب ، والجوهر لا الشكل ، والعمل لا الجدل ، والعطاء لا الادعاء ، والاجتهاد لا التقليد ، والتجديد لا الجمود ، والانضباط لا التسيب ، والوسطية لا الغلو ولا التقصير .

إسلام يقوم على عقيدة روحها التوحيد ، وعبادة روحها الإخلاص ، وأخلاق روحها الخير ، وشريعة روحها العدل ، ورابطة روحها الإخاء ، وثمرة ذلك كله حضارة روحها التوازن والتكامل .

هذا الإسلام وحده هو الذى يقربنا من العالم ، ويقرب العالم منا ، وهو الإسلام الذى تتبناه الصحوة الإسلامية ، أو ما يجب أن تتبناه الصحوة بكل فصائلها ، فلا يخفى أن من فصائلها ما هو فى حاجة أن يتجاوز طور المراهقة إلى طور الرشد .

* * *